Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ذاتها أكثر مما تناول المعلول ، إذ كثيراً ما اتفق النحويون على حكم ، ثم فرق بينهم الخلاف في تعليله .

ب ـ مذهب البغداديين والزجاجي

من تمام النظرة التاريخية إلى كتاب الإيضاح أن نساير حياة النحو وتطور مذاهبه فيه ، وأن تقف فيه حيث وقف صاحبه به ، والزجاجي لم يقف عند الرواية عن البصريين والكوفيين ، وذكر ما اختلفوا فيه ، بل تابع السير فروى عمن جاء على أعقابهم ومزج بين آرائهم جميعاً .

وإن بوادر الخلاف في الرأي إذا كانت قد أطلت بين الخليل (١٧٥ هـ) والرؤاسي ، وتركزت بين سيبويه (١٨٠ هـ) والكسائي (١٨٩ هـ) ، وبلغت أشدها بين المبرد (٢٨٥ هـ) وثعلب (٢٩١ هـ) ، فإن أوارها أخذ يخبو فيما بعد بين تلاميذ المبرد وثعلب ، أولئك التلاميذ الذين فتحت لهم بغداد أبوابها ، وازدحمت بهم مساجدها ، وامتلأت بهم قصور الخلفاء وغيرهم فيها ، فكانت بيئتهم أرحب من البصرة والكوفة وأوسع ، وكانت أبعد عن حمى التعصب ، وحماسة الجدل ، وعزة التمسك بالرأي ، وكانت بغداد ملتقى علماء البصرتين ، فكان فيها بسط للعلم واختيار للآراء ، وأخذ من كل طرف بقول ، على تفاوت في مدى هذا الأخذ ونفاذه .

وفي هذا العصر (البغدادي) عاش الزجاجي ، وعن هؤلاء العلماء الذين مزجوا نحو البصرة بنحو الكوفة تلقى علومه ، أخذ عن ابن كيسان (٢٩٩ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) والأخفش الصغير (٣١٥ هـ) ، وكان كل من هؤلاء الثلاثة تلميذاً للمبرد وثعلب . كما أخذ عن علماء بغداديين آخرين كابن رستم الطبري وابن الخياط وابن شقير ، وكان عدد الذين روى عنهم من البغداديين لا يقلّ عمن روى عنهم من بصريين أو كوفيين . وحديث الزجاجي عن هؤلاء يبيّن لنا كيف حصل التمازج ؟ وكيف نشأت هذه الطبقة ذات العقلية المعتدلة ، والآراء القائمة على الانتخاب والاختيار ؟